الصدام الحضاري من منظور العالم الأوروبي والعالم الاسلامي

Civilized clash from the perspective of the European and Islamic world

محمد بن موسى*

الإرسال:	2020/03/22	القبول:	2020/06/15	النشر:	2020/12/31

الملخص باللغة العربية:

يعتبر الصدام الحضاري، من بين المفاهيم العصرية الرائجة في عالم اليوم وخاصة بعد إنهيار الكتلة الشرقية بزعامة الإتحاد السوفياتي أمام الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية عام 1991م، حيث فرض هذا الحدث تكوين معالم حضارية بأسس فكرية،وثقافية، سياسية وغيرها للعالم الغربي عامة، والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، والتي جعلها وسيلة للسيطرة وغزو العالم الإسلامي من خلال ترويج مفاهيم ألصقت به كعالم الارهاب، عالم التخلف وغيرها.

لقد كان الهدف من هذه الدراسة هو أن سلامة العصر والأمم لا تكون إلا بالحوار والتفاعل الحضاري، وتوطيد العلاقات بين العالمين في مختلف مناحي الحياة بدل الصدام. ومن النتائج التي نكتشفها في ذا الطرح هي : وجود عالمين مختلفين متصارعين(العالم الغربي والعالم الإسلامي)، وإبراز طرق الغزو والسيطرة للعالم الأوروبي على العالم الإسلامي من خلال ترويج مفاهيم خاطئة عن العالم الاسلامي، بأنه عالم العنف والإرهاب، ووجود مجهودات حول إحلال السلم والتفاعل الحضاري وإعتماد أسلوب الحوار بدل الصدام الحضاري.

الكلمات المفتاحية: عالم أوروبي؛ عالم اسلامي؛ صراع حضارات؛ تفاعل حضاري.

* - طالب دكتوراه سنة ثانية بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة–الجزائر، البريد الالكتروني: [bmohammed179@gmail.com].

المنارة للاستشارات

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: The civilized clash is among the modern concepts popular in today's world, especially after the collapse of the eastern bloc led by the Soviet Union in front of the western bloc led by the United States of America in 1991, where this event imposed the formation of civilizational landmarks with intellectual, cultural, political and other foundations for the western world in general, and the United States Especially the American, which made it a means to control and conquer the Islamic world by promoting concepts it attached to it such as the world of terrorism, the world of underdevelopment and others.

The aim of this study was that the safety of the times and nations can only be achieved through dialogue and civilized interaction, and the consolidation of relations between the two worlds in various aspects of life rather than clash. Among the results that we discover in this approach are: the presence of two different conflicting worlds (the Western world and the Islamic world), highlighting the ways of conquest and domination of the European world over the Islamic world by promoting misconceptions about the Islamic world as the world of violence and terrorism, and the existence of efforts around peace and civilized interaction And the adoption of a method of dialogue instead of a clash of civilization.

Keywords: European world; Islamic world; clash of civilizations; civilizational interaction.

مقدمة:

يعتبر مفهوم حوار الحضارات من بين المفاهيم الرائجة التي فرضتها التغيرات الحاصلة في العلاقات الدولية لفترة مابعد الحرب الباردة عام 1991م، حيث أصبحت الدول الغربية(الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية) في إطار بحثها الدؤوب عن عدو يحل محل الإتحاد السوفياتي، تُنادي بنظريات الصدام مع العالم العربي والاسلامي ، مُتهمة إيّاه بكل مظاهر العنف، التعصب والتخلف، إلى أن ترسّخت تلك

المنارة للاستشارات

الصورة في مُخيلة المواطن الأوروبي البسيط. وقد استغلت تلك الدول في حملتها الدعائية ضد الاسلام، تقدّمُها التكنولوجي في وسائل الإعلام والاتصال، مُوظفة بعض السلوكات الخاطئة لبعض الحركات الإسلامية التي تدعي تمثيلها للإسلام.

ومن هذا المنطلق، يتضح لنا التباين الصارخ في الحضارات من خلال التمدن الذي وصل إليه الغرب اليوم، وهو الذي يرى نفسه سيد العالم، وصاحب السلطة على العالم ككل، بتراثه، ونتاجه الفكري، التكنولوجي والاقتصادي الضخم، وهذا إن دل على شيئ، إنما يدل من المنظور الغربي على الصدام الحضاري بين الطرفين وتبعاته المُنجرة من عدم تكافؤ الأخيرين في مختلف الميادين لا سيما العلمية والدينية. والاشكالية المطروحة في ظ لتلك المفارقات بين العالمين هي: ماهي فلسفة العالم الغربي في تأزيم الصدام الحضاري؟ وما السبيل إلى التفاعل الحضاري بدل الصدام؟

تناولت دراسات سابقة هذا الموضوع، وبَنَت أفكارها على أسس مادية بحتة، بل وكانت اللبنة في التوسع في مثل هذه الدراسات، منها:

- دراسات غوستاف فون غرونبومGustave Von Grunebaum الذي نكّل الثقافة العربية واعتبرها ثقافة عقيمة، لم تمد العالم بأية أفكار جديدة ونموذجية لعالم متقدم في كل مجالاته، وجمع مادته العلمية كلها في مُؤلفين هما: «الاسلام القروسطي»، جمع محاضراته في الاستشراق الثقافي التي درسها في أمريكا عام 1945م. أما المؤلف الثاني، جاء بعنوان «الاسلام الحديث» : البحث عن هوية ثقافية، وهي مجموعة مقالات كتبها ما بين 1952-1962م.اتهم فيها العرب على عدم القدرة على التغيير، وفهم طبيعتهم وتاريخهم، فهم مُتميزون بالخمول والجمود، وعلاج مرضهم يكمن في الأخذ من الغرب أسباب التطور.

- دراسات برناند لويسBernard Lewis: وهو من أشهر الباحثين في الدراسات الشرقية الأنغلو أمريكية، كرس أغلب كتاباته لدراسة الاسلام، وكتب عن الحضارة باسلوب مادي بحت، حيث وصف العرب بغير المتحضرين، وأن اسلامهم استبدادي، غير ديمقراطي، فاسلامهم يُشبه الشيوعية المُستبدة. وهو أول من كتب عن الصدام الحضاري الذي تبناه هنتنغتون في ما بعد، في مقال له في مجلة The Atlantic Monthly بعنوان « جذور الغضب الاسلامي» سنة 1990م.

- اعتبر زويمر أن لُب الصدام الحضاري مرده إلى الحملات الفكرية الدينية للبابا التي شهدها التاريخ على مرّ العصور. أفرزت هذه الحملات الدينية روح العداء والصراع بين

المسلمين والأوروبيين وظهرت حاليا على شكل صداع حضاري خرج عن نطاقه الديني ليشمل مناحي الحياة الأخرى(الثقافية، الاجتماعية...).

ضمّ البحث ثلاث فرضيات أساسية، هي:

- الفرضية الأولى: مجالات نظرية الصدام الحضاري عند الغرب، وآلياتها التاريخية ضد الخصم أو العدو (الإسلام).

- الفرضية الثانية: نظرة العرب إلى الصدام الحضاري وتبرئة الاسلام من الشوائب المنسوبة إليه.

- الفرضية الثالثة: تداعيات الصدام الحضاري على العالم، والاسلام دين عدل وتعايش بين الأديان والحضارات، لا دين صدامات.

اعتمدت في هذه الورقة البحثية على المنهج التاريخي، الوصفي والاستنباطي لعرض أهم الأحداث التاريخية المتعلقة بالعصر ووصفها من مختلف الجوانب المرتبطة بها، لنخرج في الأخير بمجموعة استنتاجات من خلال المنهج الاستنباطي.

1. مفهوم الحضارة:

لا شك أنَّ المصطلحات الرائجة في هذا الحقل، مثل المدنية، الثقافة والحضارة غير محددة، وللحضارة وحدها تعاريف كثيرة جداً... وإذا اكتفينا بما تلقيه كلمة الحضارة في الأذهان، وهو تقدم المجتمع البشري، هناك من يرفض ذلك، ولعل المنطق القرآني يرفضه أيضاً. فالبناء المادي مرفوض إذا لم يكن قائماً على أساس معايير إنسانية أو على معايير التقوى بالتعبير القرآني : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين، فاتقوا الله وأطيعون) (سورة الشعراء الآيتين 128-131). فالقوة المادية تكون سبب البطش والتجبر إذا لم تكن مقرونة بقيم ذات رصيد ديني.

وليس بعيداً عما سبق ذكره، فإنه ليس ثمة إجماع على مفهوم الحضارة، فضلاً عن أنَّ بعضهم يساوي بين هذا المفهوم وبين مفهوم الثقافة، كما أنَّ تصنيفات الحضارة تتفاوت تبعاً لتفاوت المعايير، الأمر الذي من شأنه أن يخلق تناقضات وإرباكات حادة عند الحديث عن صدام الحضارات، أو حتى حوارها. وما يمكن أن نورده في هذه الأسطر، تعريفات جاءت بها الشخصيات التاريخية التالية :

*- عرف كارل ماركس الحضارة تعريفا صراعيا، حيث يقول، أن كل اكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية و حاجات الإنسان الأساسية، و بالتالي، الوسائل

الفنية التي يخترعها و يستعملها في تلبية تلك الحاجات، فالحاجة والفن الصناعي يمثلان مركزَي التقاطب لقوى الإنتاج المركزيين، اللذان يحددان العلاقات الاجتماعية الخاصة بحضارة معينة، كما يحددان هذه الحضارة ذاتها ماديا و معنويا(إسماعيل صبري مقلد، دون تاريخ ص117)

حسب ماركس، البنية التحتية تحدد نمط التفاعل الفوقي ،أي، بصياغة أخرى، الصفة الإنتاجية تحدد طبيعة البناء الاجتماعي، فهو يرجع التطور نحو الحضارة من خلال المتغير المرتبط بالدولة في ظل تطور المجتمعات من التركيبة البسيطة إلى الأكثر تعقيدا. .كيبش عبد الكريم و عبد اللطيف بوربي، ص71)

أما أرنولد توينبي، فيعرف الحضارة تعريفا مرتبطا بنظريته القائمة على التحدي والاستجابة، فبالنسبة إليه تنمو الحضارات بالتحدي الأقصى بدافع حيوي تكون فيه الاستجابة لرد وحيد ناجح باكتساب قوة الدفع إلى الأمام بانتهاج معارك جديدة(.سليمان الخطيب،1986، ص 21).

يربط توينبي نشوء الحضارة و استمرارها بوجود الدافع الحيوي الذي يعمل على تقدمها و نموها، حيث في غياب الرد، أي، الاستجابة على هذا الدافع تنهار الحضارة التي هي تفاعل ديناميكي و ليس ستاتيكي، لكن من الصعوبة بمكان قياس متغير الدافع الحيوي من مجتمع لآخر(كيبش عبد الكريم و عبد اللطيف بوربي، ص71)

أما مالك بن نبي، فيعرف الحضارة أنها إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضير للدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا صياغة خصائص تتحكم في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات و الحضارات الأخرى(مالك بن نبي،1988، ص49)

و بالنسبة لفرانسيس فوكوياما، فقد ذهب في إطار الصيرورة التاريخية إلى أنه لا يجب النظر للتاريخ على أنه مجرد تتابع للحضارات المختلفة، و الوعي هو الأسلوب الذي يفكر به البشر حول مسائل جوهرية خاصة بالحق و الباطل، والأنشطة التي يحدثونها مرضية و مقنعة، و معتقداتهم عن الآلهة و حتى الطريقة التي يتصورون بها العالم. (فرانسيس فوكوياما، 1992، ص 26).

وهناك من يرى أن الحضارة جزء من التاريخ فعرفها حسين مؤنس، في مفهومها العام، أنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، و الثمرة مادية أم معنوية. و هذا

المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأنه هو الزمن و الثمرات الحضارية تحتاج للزمن، أي أنها جزء من التاريخ. (حسين مؤنس، 1978، ص13)

إن الإختلاف في نشأة هذه الظاهرة يعود إلى الاختلاف في تحديد عناصرها، فابن خلدون يحدد عناصر الحضارة في عناصر الدولة، في ظل ارتباط الحضارة بالعمران، حيث أن غاية الملك والدولة هي العصبية. (Arnold Toynbee, 1985, p106) .أما مالك بن نبي يحدد عناصرها تحديدا وظيفيا من خلال تفاعل ثلاثة عناصر هي الانسان والتراب والوقت، وتولد لنا مركب يحدد بالعامل الديني. (عبد الرحمان بن خلدون، 1992، ص294).أما "وال ديورانت" يحددها في عناصر اقتصادية من الصيد إلى أسس الصناعة إلى تنظيم اقتصادي بالإضافة إلى العناصر السياسية والخلقية والعقلية (مالك بن نبي،1986، ص26) ، وهناك من يقسمها إلى مادية معيار التصنيف يكون على أساس (فلاحي- صناعي وتجاري) وحضارة معنوية على أساس ثقافي (مالك بن نبي،1986، ص26).

2. معنى الصدام الحضاري:

لا يستقيم فهمنا لمدلول الصراع إلا إذا عرفنا معنى اللفظ، ومغزى المصطلح. لغويا : نقول صدم صَدمًا أي دفعه وضربه بجسده. وأيضا: صادم –مُصادَمة أي ضربه. تصادم واصطدم الفارسان : ضرب احدهما الآخر بنفسه وتزاحما.(المنجد في الأعلام واللغة،2008م، ص420).

أمّا مُصطلح صرع، فقد جاء في لسان العرب: الصّرع : الطَّرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعه صرعا وصرعا فهو مصروع وصريع، والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه. والصُرَعة(بضم الصاد وفتح الراء) الرجل الحليم عند الغضب، وهو المبالغ في الصرع الذي لا يغلب.(ابن منظور،1988، ص430).

وورد في القرآن الكريم مرة واحدة، (صرعى)، يقول تعالى: « فترى القوم فيها صرعى» (سورة الحاقة، الآية 07) والمعنى هنا الطرح بالأرض، وهو يخص الانسان.

اكتسب المصطلح مفهوما سياسيا واسع الانتشار واتخذ طابع النظرية في القرن التاسع عشر، حين ورد في البيان الشيوعي لماركس وانجلز. جاء في الموسوعة السياسية أن فكرة العصرية عن صدام الطبقات تعود إلى عهد الثورة الفرنسية، ولكن النظرية مستمدة من افكار "ماركس" و"انجلز" في البيان الشيوعي والذي جاء

فيه: "أن تاريخ المجتمع كله حتى اليوم هو تاريخ صداع الطبقات" (عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهري ،1974، ص 344).

ويلاحظ هنا، ورد لفظ (كله) الذي يفيد الجمع وينفي الاستثناء، على وجه الجزم والقطع، وهي لازمة من اللوازم المرتبطة بالفكر الشمولي في كل زمان ومكان، سواء كان شيوعيا أو رأسماليا.

غلبت فكرة الصدام على الفكر الأوروبي في جميع المراحل التي مر بها، وأدت الشعوب الأوروبية ثمنا فادحا لهذه الغلبة القسرية، حيث عانت أشد المعاناة من الحروب الأهلية فيما بينها، كانت آخرها الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) التي أضرمت شرارتها عقيدة عنصرية، ونزعة استبدادية، اصطبغتا بصبغة الصداع.

وعلى المستوى الفكري والمذهبي والسياسي، كانت الأفكار الكبرى التي أحدثت عميق التأثر في المجتمعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أفكارا ذات منطلقات صراعية، مثل الشيوعية التي قامت على مبدأ الصراع الطبقي الذي هو درجة عليا في سلم الصراع. وينطبق هذا حتى على الرأسمالية التي قامت هي الأخرى الصراع ضد العوائق والموانع والحواجز التي تمنع الرأسمال من الانطلاق من القيود، والتي تشن حربا عوانا على الأوضاع التي لا تتقبل المذهب الرأسمالي، حتى وإن أدى تطبيق هذا المذهب والعمل به إلى الإضرار بمصالح الشعوب الفقيرة. فمن أجل الوصول إلى الرفاهية والإزدهار الاقتصادي، لا شيئ يمنع من استغلال الشعوب الأخرى والهيمنة على مقدراتها. وهو الأمر الذي أدى ولا يزال يؤدي إلى زعزعة استقرار المجتمعات الحديثة، بما فيها المجتمعات الرأسمالية ذاتها.

3. الصدام الحضاري في منظور هنتنغتون :

1.3 التعريف بهنتنغتون :

صامويل فيلبس هنتنجتون Samuel Phillips Huntington. (ولد 18 أبريل 1927 - توفي 24 ديسمبر 2008) أستاذ العلوم السياسية، اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات وليس الدول القومية، كما استحوذ على الانتباه في تحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. درس في جامعة يال، وهو أستاذ بجامعة هارفارد...برز اسم هنتنغتون أول مرة في الستينات بنشره بحث بعنوان «النظام السياسي في مجتمعات متغيرة»،

وهو العمل الذي تحدى النظرة التقليدية المنظرة بالتحديث، والتي كانت تقول بأن التقدم الاقتصادي والاجتماعي سيؤديان إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في المستعمرات الحديثة الاستقلال.(محمد سعدي، 2006، ص80).

2.3 أسباب الصدام الحضاري:

يذهب هنتنغتون إلى أن الصراع الحضاري أعلى وأسمى من الصدام الإيديولوجي الذي عرفه العالم مابين 1945-1989م بين القطبين المتصارعين، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي، ومرد الصدام الحضاري ينطوي على العناصر التالية :

- الاختلاف بين الحضارات في التاريخ، الثقافة والعادات، والأهم من كل ذلك الدين.
- الإحتكاك بين الشعوب المتصاعد، وضح ما تشترك فيه وما تختلف عليه الحضارات.
- إن التطور الاقتصادي للتغيير الاجتماعي على مستوى العالم من شأنه أن يفصل بين الشعوب.
- تطور الوعي الحضاري، الغرب في القمة، مقابل ذلك نلاحظ ظاهرة العودة إلى الجذور في الحضارات غير الغربية.أي تنامي الحركات المتطرفة التي تنادي بالدول الوطنية. (كيبش عبد الكريم و عبد اللطيف بوربي، ص74)
- ازدياد التكتلات الاقتصادية وارتفاع التجارة بين بلاد المنطقة الواحدة . هذه الاختلافات تؤدي إلى صراعات في مستويات مختلفة هي :

* المستوى الأول: مجموعة متقاربة يكون صراعها على الأراضي الواقعة على حدود كل منها.

* المستوى الثاني : التنافس على القوى الاقتصادية، العسكرية والصراع للسيطرة على المؤسسات الدولية.

هذا الصراع من الحضارات سيؤدي إلى المجتمع الخالي من التناقضات الذي يظهر من خلال بنية النظام الدولي الحالي وملامحها وآفاقها.(كيبش عبد الكريم و عبد اللطيف بوربي، ص71).

4. جذور الصدام في الفكر الأوروبي:

طرحت فكرة الصراع في القرن التاسع عشر في أوروبا، وحلت في نظرية داروين مكان النظريات الخاصة بالتوافق الطبيعي، وساد في الأوساط الفكرية والعلمية الإعتقاد بوجود كثير من الصراع في الطبيعة. وأن هذا الصراع هو من سمات الطبيعة،

والفكرة الأساسية التي تمركز حولها الفكر الأوروبي، هي، أنه لا وجود لتشابه كامل بين الطبيعة والمجتمع، ولكن الصراع بين الناس ليس من أجل الوجود ، ولكنه من أجل تحقيق فرص أفضل للاستمتاع والارتقاء. (فرانكلين باومر، 1989، ص98).

وجاء المفكرون والعلماء الأوروبيون في أواخر القرن التاسع عشر، وفي النصف الأول من القرن العشرين، بلوروا فكرة الصدام، وأقاموا نظرياتهم سواء في مجال العلوم البحتة أو في حقل العلوم الانسانية على قاعدة الصراع بين الانسان والطبيعة، وبين الكائنات جميعا، وكان حظ علوم الاجتماع، و علم النفس، علم الأدب والفنون من التاثر بفكرة الصدام في الحياة عظيما.

يذكر المفكر "جونز" ملخصا في دقة وتركيز الوضع الفكري في أوروبا فيما يعرف بعصر النهضة: استحوذ الانسان في عصر النهضة باهمية أكبر من الله، وأصبح الاهتمام بارتباط الانسان ببني جنسه أكبر من الاهتمام بارتباط روحه. واتخذ الإنسان الطبيعة والإنسانية هدفا عوضا عما فوق الطبيعة والكمال الإلهي، وبات الأمر الأهم ما يحققه الانسان في دنياه، لا ما ينتظره في العالم الآخر.ومطالب الانسان في هذه الدنيا إنما هي، عموما، غنى شخصية الفرد ونمو قواه العقلية، وقابليته المعنوية، واستثمار مظاهر الجمال المتنوعة، والحياة المجللة بالنعم الدنيوية، وهكذا خرج الانسان من كونه مربة للمشيئة الإلاهية، ومظهرا ثابتا للانسان ليصبح ميدانا لتجاذب قوى الطبيعة وصدامها، فلا مفرا إذن للانسان من الالتحاق بحلبة التنافس هذه.(محمد خاتمي،2000، ص ص 183-184).

5. صدام الحضارات في المفهوم الاسلامي:

تقوم العلاقات الإنسانية في الرؤية الإسلامية، على أساس التعارف والتعاون على البر والتقوى، من منطلق وحدة الجنس البشري ووحدة الأصل المنبثق عن المشيئة الإلاهية. يقول جل وعلى في محكم تنزيله: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (سورة الحجرات، الآية 13).

والتعارف في المصطلح القرآني يتعدى المعنى اللغوي المباشر، إلى معاني أعمق مفهوما وأوسع دلالة. فلقد خلق الناس وجعلهم شعوبا شتى، وقبائل متفرقة، يسعون في الأرض من أجل غاية سامية قدرها الخالق سبحانه، هي التعارف فيما بينهم الذي يرقى إلى مستوى أعلى، هو تبادل المعرفة أو تبادل المعارف بكل ما في المعنيين من دلالات

لغوية ومعرفية وانسانية عميقة. فكلما اتسعت المساحة المعرفية المتبادلة بين الشعوب والأمم، على مختلف المستويات، ضايقت مساحة الخلاف، وانزوى الاختلاف، وتراجع، وفقد القدرة على التأثير السلبي الذي يلحق أقدح الأضرار بالمجتمعات الإنسانية. (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2000، ص10).

أما التقوى، التي هي القاعدة الثانية للعلاقات الانسانية والتي كُلف الانسان بها، وبالدعوة إليها وبالتعاون عليها، فهي كما يقول الشيخ محمود شلتوت، يرحمه الله: « أما تقوى الله تعالى فهي ترفع في معناها العام إلى إتقاء «الانسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين المقاصد الشريفة، والكمال الممكن في الدنيا والآخرة. والتقوى ليست خاصة بنوع من الطاعات، ولا بشيئ من من المظاهر، وإنما هي كما قلنا،اتقاء الانسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين الكمال الممكن. ومن ثمرات التقوى حصول الفرقان... مايفرق به المرء بين الخير والشر، والضار والنافع في هذه الحياة...فبالعلم الصحيح، القوة، العمل النافع، الخلق الكريم وما إلى ذلك من أثار التقوى، والتقوى هي الشجرة، والفرقان هو الثمرة.(محمد شلتوت، بدون تاريخ، ص571).

التدافع الحضاري في المفهوم الإسلامي هو سُنة الله في الكون، لا الصدام الحضاري، ليس يعني ذلك أن الحياة تسير وفق خط بياني صاعد ومطرد تتحقق فيه المصالح والمنافع للناس كافة في جميع الأحوال وترقى ذواتهم، وأن الخير يغلب الشر، وأن الحضارات تتواصل وتتلاقح وتتدافع ولا تتصارع، وقوله جل وعلى «وان "الله متم نوره ولو كره الكافرون»(سورة الصف، الآية 08) ونور الله في السياق القرآني هو المشيئة الإلهية، والإيمان بالله ونصرة المؤمنين وهو الخير، العدل، الفضيلة والسلام في النفس وفي الأرض. وتلك هي مقومات الحضارة التي تخدم الانسان مصداقا لقوله تعالى « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سورة يوسف، الآية 21) وأمْرُ الله في هذا السياق القرآني أيضا، هو مشيئته تعالى الغالبة، وهو الحق والعدل الذان هما قاعدتا الحضارة التي يسعد الانسان في كنفها، ويبدع ويعمر الأرض ويصلح ولا يفسد.(عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2000، ص11).

وفي المفهوم الإسلامي، فإن الصدام حالة عارضة، وهو شذوذ عن القاعدة، وليس طبيعة من طبائع الحضارات لأنه يتنافى والفطرة الانسانية، وهو نقيض التفاعل الحضاري الذي قامت الحضارة الاسلامية على أساسه، وهو إلى ذلك كله، البديل

المنارة للاستشارات

الموضوعي للفوضى التي تسود الأوساط الفكرية والسياسية في العالم اليوم، من جراء شيوع مفاهيم مغلوطة ورؤى مشوشة وتحليلات مغرضة تدفع بحركة الفكر العالمي وبالسياسة الدولية على وجه العموم. نحو مناطق مجهولة محفوفة بالمخاطر التي تُهدد الإنسانية في حاضرها وفي مستقبلها. (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2000، ص11)

إن الترويج لفكرة صدام الحضارات، يخدم أغراض فئة من البشر تسعى إلى إحكام سيطرتها على مقاليد الأمور في العالم أجمع ، وهي أغراض ليست بريئة وليست لها صلة بالأهداف الإنسانية النبيلة التي تنبع من المبادئ والقيم الحضارية البانية للانسان، والعمران والحضارة. (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2000، ص11).

6. التفاعل الحضاري كبديل للصراع:

يذهب عديد المؤرخين إلى اعتبار الاختلاف الحضاري الذي يشهده عالم اليوم ما هو إلا تعاون واحتكاك فيما بينها، بدليل أن الحضارة الإسلامية احتفظت بمركز الصدارة منذ أوائل العصور الوسطى، لا في الشرق فحسب، بل كذلك في غرب اوروبا، إذ نمت الحضارة الغربية في ظل الحضارة الاسلامية التي هي أكثر منها رقيا وقتذاك، وكانت الحضارة العربية ...لا البيزنطية ...هي التي ساعدت العالم المسيحي في العصور الوسطى على استرداد نصيبه من التراث اليوناني العلمي والفلسفي (كريسنوفر دوسن، 1967، ص ص 203-204).

إن قاعدة التسامح التي يقوم عليها الاسلام فتحت امام الامة الاسلامية السبيل إلى الاحتكاك الواسع بالأمم والشعوب. وشجعت الحضارة الاسلامية على التفاعل مع الثقافات والحضارات جميعا. ونعني بالتسامح الديني أن تكون لكل طائفة في المجتمع الاسلامي، الحرية في تأدية شعائر دينها، وان يكون الجميع أمام قوانين الدولة الاسلامية سواء.وإذا نظرنا إلى الاسلام من حيث مبادئه وتعاليمه الأصلية، نجد أنه ارقى الأديان في تحقيق مبدأ التسامح الذي هو القاعدة الأولى للتفاعل الحضاري. (أحمد أمين، 1952، ص ص 180-181).

إن التفاعل الحضاري يستند في مفهوم الفكر الاسلامي إلى مبدأ التدافع الحضاري لا الصراع الحضاري، وهو المبدأ القرآني المحض، الذي نجد له أصلا في قوله تعالى:" ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".(سورة فصلت، الآية 34).

فالتفاعل إذا في المنظور الاسلامي، هو عملية تدافع لا تنازع، وتحاور لا تناحر. والتفاعل حياة، والتصارع فناء، والتفاعل الحضاري عندنا، حوار دائم ومطرد، ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للانسانية قاطبة، ولا يسعى في الأرض بفساد. (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 1998، ص ص 22-23) والتفاعل الحضاري يقي الانسانية من السقوط الحضاري الذي تنتج عنه أزمة الحضارة. وهذا هو مأزق الانسان في العقد الأخير من القرن العشرين وإلى اليوم، ويعتقد كبار الفلاسفة التاريخ من بينهم "أزوالد شبنغلر" في كتابه إنحطاط الحضارة إلى أرنولد توينبي في كتابه دراسة للتاريخ أن حضارة الغرب العلمانية الانسانية رغم ثرائها المادي وجبروتها العسكري تعاني من الام مبرحة، اذ فقدت القوى التي أدت إلى سيطرة هذه الحضارة قدرتها على الاستقطاب، وهاهي قوى التفكك والاضمحلال تتجاوز قوى التعاضد والتماسك، والمراسي التي تثبتت السفينة أخذة في التداعي، والقيم التي جمعت الناس معا تعاني من الاضطراب، ولم تعد العلل مقصودة على قطاع واحد أو عدد قليل من القطاعات، بل وأصبح نهر الحياة برمته ملوثا. (خورشيد أحمد، 1994، ص615).

7. الخلاصة:

ومن خلال ما سبق عرضه من معلومات حول صدام الحضارات أو التفاعل الحضاري كبديل لهذا الصراع، يمكن أن :

- اعتمد الغرب على الروح الاستعلائية في مجال التقدم أو التطور الذي مس جميع المجالات، فكانت سياسته قائمة على تضخيم الأنا في مُقابل الاعتماد على النظرة الدونية لبقية المجتمعات الأخرى، والمجتمعات الاسلامية على وجه الخصوص.

- التقدم او التطور في مفهوم الغرب مُحتكر بين أيديهم دون سواهم، هذا ما ترك فجوة كبيرة بينهم وبين المسلمين، في حين الدين الاسلامي يدعو إلى التعايش، حرية التفكير وابداء الرأي، والأكثر من ذلك الدعوة إلى روح التعاون وتجنب أسباب العداء أو الصدام.

- هذا ما يكشف لنا النظرة المادية دون النظرة الروحية لدى الدول الاوروبية والأمريكية في معالجة مثل هذه القضايا، وما أفرزته من مشاكل عويصة، أصبح يُطلق عليها اليوم الإرهاب الإسلامي، مع العلم انهم هم من إبتكر وجاء بهذا الإرهاب، وروج له وسائل الإعلام والإتصال الغربية.

المنارة للاستشارات

*- نتيجة أحداث 11سبتمبر 2001م، أصبح مفهوم الخطر الارهابي يقوم على أساس ثقافي حضاري وليس على أساس إيديولوجي واقتصادي أو سياسي، لقد اسست أحداث 11 سبتمبر لمفهوم جديد حول الخطر أو التهديد.

*- في ظل تدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها المجتمعات العربية الإسلامية يقابلها التطور الاعلامي والحضاري الغربي، فإن حوار الحضارات في هذه الظروف غير المتكافئة غير ممكن، وعليه فإن حوار المصالح هو الحل.

*- وبالتفاعل الحضاري يتطهر نهر الحياة والحضارة من التلوث الذي يفرزه الصدام، وهيمنة الفكر المادي العلماني على الأفكار، الأقوال، الأفعال، الممارسات، أنماط السلوك ونُظم الفكر وأساليب الحياة. ولذلك نقول أن التفاعل الحضاري هو البديل للصدام الحضاري.

8. المصادر والمراجع:

1.8 المصادر:

*** القرآن الكريم :**

01*- سورة فصلت، الآية 34

02*- سورة الحجرات، الآية 13

03*- سورة الصف، الآية 08

04*- سورة الحاقة ، الآية 07

05*- سورة يوسف، الآية 21

*** الكتب:**

05*- ابن خلدون عبد الرحمان ، 1992م **المقدمة**،الطبعة الأولى، لبنان،دار الكتب العلمية.

06*- ابن منظور، 1988م.**لسان العرب**، المجلد الثالث، طبعة يوسف خياط، دار الجيل.

2.8 المراجع :

1.2.8 بالعربية:

01*- أمين، أحمد، 1952م، يوم الاسلام، بيروت، دار الكتاب العربي.

02*- الخطيب سليمان، 1986أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ط1، الزهراء للعلوم العربية.

المنارة للاستشارات

03*- بن نبي مالك، 1988م، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعيو، سوريا، دار الفكر.

04*- بن نبي مالك ،1986م، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

05*- باومر فرانكلين، 1989م الفكر الاوروبي الحديث، الإتصال والتغير في الأفكار من 1600 إلى 1950، ترجمة أحمد حمدي محمود ،الجزء الثالث، القاهرة.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

06*- بن عثمان التويجري عبد العزيز ،2002، صراع الحضارات في المفهوم الاسلامي، الطبعة الأولى، المملكة المغربية منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيكو-.

07*- بن عثمان التويجري عبد العزيز ،1998، الحوار من اجل التعايش، القاهرة، دار الشروق.

08*- خاتمي محمد ،2000، فصول من تطور الفكر السياسي في الغرب، الطبعة الأولى، بيروت،دار الجديد.

09*- خورشيد أحمد، 1994م، الانسان ومستقبل الحضارة من منظور اسلامي ، عمان الأردن مؤسسة ال البيت للفكر الاسلامي.

10*- دوسن كريستوفر،1967م، تكوين أوروبا، ترجمة ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشورو محمد مصطفى زيادة، القاهرة مشروع الالف كتاب.

11*- سعدي محمد، 2006،مستقبل العلاقات الدولية، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

12*- شلتوت محمد ، تفسير القرن الكريم، دار القلم، القاهرة.

13*- صبري مقلد إسماعيل، الإستراتيجية و السياسة الدولية، ط2، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

14*- فوكوياما فرانسيس،1992م، نهاية التاريخ و آخر البشر، ترجمة و تعليق: حسين الشيخ، ط2، بيروت، دار العوم العربية.

2.2.8 بالفرنسية:

histoire.Edition bordas.belgique.1985'TOYNBEE ARNOLD.l01-

المنارة للاستشارات

3.8 المجلات :

01*- كيبش عبد الكريم و عبد اللطيف بوربي، إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة، مجلة الفكر، العدد الثالث، جامعة بسكرة.

02*- مؤنس حسين،1987، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة،ع1، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

4.8 الموسوعات :

01-* الكيالي عبد الوهاب و الزهري كامل، 1974م، الموسوعة السياسية، الطبعة الاولى، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

02-* المنجد في الاعلام واللغة،2008م، الطبعة الأربعون،بيروت، دار المشرق.

المنارة للاستشارات